مفهوم السوسيولوجيا ونظرية جولدمان الروائية

The concept of sociology and Goldmann's novelistic theory.

يحيى معروف [١]

Prof. Yahya Maarouf

علي سليمي [٢]

Prof. Ali Suleimi

مريم رحمتي [٣]

Asst. Prof. Maryam Rahmati

طعمه عبد عودة [٤]

Toma Abdul Awda

الخُلاصة

هذه الدراسة تهدف الى معرفة مفهوم السوسيولوجيا لغة واصطلاحاً من خلال التعرض إلى التعريفات التي جاء بها النقاد الغربيين، وكذلك إلى ما جاء به أبرز النقاد العرب وعلاقتها بالأدب، وعلاقتها بالرواية؛ فقد تميز النص الأدبي عن غيره من الأجناس الأدبية؛ بكونه ارتبط أشد الارتباط بالمجتمع وما فيه من حياة مما جعل له تصوير الواقع الممكن والكائن، وقمنا بتسليط الضوء على أهم مفاهيم النظرية الجولدمانية ، فقد

١- جامعة (رازي)، كرمنشاه، إيران y.marof@yahoo.com
٢ جامعة (رازي)، كرمنشاه، إيران salimi1390@yahoo.com
٣ جامعة (رازي)، كرمنشاه، إيران rahmatimaryam88@gmail.com
٤ جامعة (رازي)، كرمنشاه، إيران mont67368@gmail.com

اثبت جولدمان إن العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والعمل الأدبي تتعلق بشكل مباشر بالبنيات الذهنية التي تقوم عليها الطبقات الاجتماعية والعالم المتخيل للمبدع.

الكلمات المفتاحية: مفهوم، السوسيولوجيا، نظرية، جولدمان، الروائية

Abstract

This study aims to know the concept of sociology linguistically and idiomatically through exposure to the definitions brought by Western critics and to what came up with the most prominent Arab critics.And its relationship to literature as well as its relationship to the novel; the literary text has been distinguished from other literary genres; it has been strongly linked to society and its life, which made it imagine the possible reality and the object, as well as we highlighted the most important concepts of the Goldman theory, Goldman proved that the essential relationship between social life and literary work is directly related to the mental structures on which social classes and the imagined world of the creator are based.

Keywords: concept, sociology, theory, Goldman, narrative

المقدمة

الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً. أما بعد.

فإنَّ الاهتمام بقضايا المجتمع، وأثرها على الحياة بصورة عامة موضوع شغل اهتمام المختصين، فعلم الاجتماع ظهر كنتيجة تراكم معرفي حققه الإنسان عبر العصور، في مختلف القضايا الاجتماعية، التي شغلت فكره، فكان للفكر الاجتماعي الدور، والسبب في تأسيس علم الاجتماع.

" مهدت لظهور علم الاجتماع إرهاصات عقلية وفكرية متمثلة في الثورات التي أحدثها كّل من طاليس في شكه في الأساطير كمعرفة صالحة للوصول إلى الحقائق الكبرى، في القرن الثامن قبل الميلاد والثورة التي احدثتها المدرسة السوفسطائية، بإنزال الفكر من

مسائل ما وراء الطبيعة إلى التفكري في الإنسان، كما أن الثورة الثالثة التي احدثها أرسطو في الاعتماد على الحواس في تحقيق المعرفة

كان لهم الأهمية القصوى في توجيه الفكر عموما، والفكر الاجتماعي إلى ما له علاقة بالواقع وبالإنسان " [٥]، ولا يخفى على أحد أنه لا معنى للأدب من غير الإنسان؛ بوصفه ظاهرة اجتماعية، كما أن إشراقة المجتمع وتطوره متأتي من المنظومة البشرية، وإشراقها، فالمجتمع هو ساحة الحياة الإنسانية.

السوسيولوجيا علم اجتماعي يركز على المجتمع والسلوك الإنساني، وأنماط علاقاته الاجتماعية ، وكما أن لكل مصطلح جذوره، التي يستقي منها دلالته، سواء أبقى على هذه الدلالة أم تطور، فمصطلح

٥ – د. إبراهيم بو يحياوي، نشأة علم الاجتماع الأسس والرواد، ص٤

السوسيولوجية يُعدّ من الأساليب الجديدة في تحليل النصوص الأدبية وتسمية حديثة لعلم الاجتماع، ارتبط ظهورها وتطورها بظروف موضوعية وفكرية، أدت إلى ظهور فلسفات، ونظريات وتجارب اخترقت البنى الاجتماعية وغيرت من دينامية الواقع الاجتماعي.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كون "دراسة مفهوم السوسيولوجيا " تُعدّ من الدراسات المهمة التي نالت اهتمام الدَّارسين والباحثين؛ لكونها من الدراسات الحديثة التي لم تلقَ الدراسة الموسّعة لها فأردنا أنَّ نخوض في هذا المجال الرحب.

إنَّ الدافع من إنجاز هذا البحث، هو رغبتنا في إنجاز دراسة حول هذا التوجه النقدي الذي أهتم به كثير من النقاد الغربيين، وكذا من النقاد العرب بل إنّ بعضهم حصر عمله النقدي بهذا المجال دون سواه.

من أجل ذلك اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج البنيوي، الذي يتيح لنا تتبع دلالة الكلمة.

هناك عدة جهود نشرت باللغة العربية والاجنبية حول الملامح العامة لعلم الاجتماع في أقطار متعددة من الوطن العربي، ساهمت هذه الدراسات في نشر لدراسات السوسيولوجيا في الوطن العربي لكنها لم تصل إلى مرحلة التنظير لمختلف الظواهر الاجتماعية المنتشرة في الوطن العربي ومعالجة المشاكل الأساسية، ومن هذه الجهود.

١-عبد الجميل الطاهر بدراسة حول المجتمع الغربي في شيكاغو عام ١٩٥٢ ودرس شهاب حاتم الحركة الوطنية في العراق من

منظور نفسي اجتماعي عام ١٩٥٤

٢-عاطف غيث، الاجتماعية المعاصرة التي تناولت دراسة البنى الاجتماعية، كالمدرسة والأسرة.

٣- أعمال أياد القزاز، عبد الجبار العريم، من أهم المنتجات الفكرية على مستوى علم الاجتماع في الوطن العربي، حيث نشر بحث في ١٩٦٩ بعنوان مشكلة المجتمع العربي المعاصر.

ويعد إبراهيم الحيدري أحد أهم المفكرين السوسيولوجيين العراقيين الذين قدموا صورة حسنة عن الكفاءات العراقية في الغرب، من خلال الإنجازات التي قدمها من بينها نظرية حق الأم، والعولمة والنظام الدولي سنة ٢٠٠٧

أما الخطة التي تتبعها الدراسة فقُسمت على مبحثين، تناول المبحث الأول مفهوم السوسيولوجيا في اللغة والاصطلاح وأهم التعريفات

التي جاء بها النقاد، وضم أيضاً علاقة السوسيولوجيا بالأدب، أما المبحث الثاني تحدث عن علاقة السوسيولوجيا بالرواية وفق

النظرية الجولدمانية، ومفاهيم هذه النظرية، وتطرقنا فيه كذلك إلى أهم التعريفات التي جاء بها النقاد العرب للفظ البنية.

المبحث الأول : مفهوم السوسيولوجيا:

لاتزال عملية تعريف علم الاجتماع، أو السوسيولوجيا يواجه نوعا من الضبابية؛ بسبب اختلاف وتعدد وتنوع مجالاته، مع إن موضوعه الذي يفهم من خلال دراسته هو الظواهر الاجتماعية التي تنشأ عن العلاقات مع البيئة المحيطة بمعناها الواسع وجوانبها كافة فهو يستكشف الظواهر الاجتماعية ويدرسها من خلال مسبباتها ونتائجها، في الوقت نفسه لا نستطيع أن نضع تعريفا لغويا؛ لأن المصطلح هو مصطلح غربي وترجم إلى اللغة العربية فلا يجد الباحث له جذورا في اللغة العربية.

"فهي كلمة ظهرت أول مرة عام ١٨٣٩ في سياق فقرة من دروس الفلسفة الوضعية لأوكست كونت، وهو من أطلق على علم الاجتماع اسم السوسيولوجيا ، والذي أرغم على إدخال هذه الكلمة المستحدثة، حيث كان يرغب وبشدة إطلاق اسم الفيزياء الاجتماعية على العلم الذي يعنى بالمجتمع وكل ما تصدر عليه السوسيولوجيا ، وهو اعتبار ما يسمى بالوقائع الاجتماعية وهي موجودة في الطبيعة، أي أنها خاضعة لمبدأ نظام الحتمية الكوني ومن ثَّم هي وقائع تنطوي على معقولية " (٦)

أي أنه أراد أن ترتكز نظريته الاجتماعية في اعتماد المنهج العلمي وتعميمه؛ ليصبح منهجا كليا شاملا لكل مظاهر الكون، حيث كانت نشأة السوسيولوجيا عنده مرتبطة بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي، والسياسي، والفكري الذي كان يمر بها المجتمع الأوربي.

" فهو ينظر للمجتمع بوصفه كلية اجتماعية تتكون من جميع الأفراد الأحياء منهم، والأموات أو ما يسمى بالذاكرة الاجتماعية الحية والماضية بكل ما تشتمل عليه من بين مؤسسات، وعلاقات، وتراث، وسلوكيات وثقافات تُعد بانصهارها جميعا عن كلية اجتماعية

أو ما يمكن تسميته بالوجود الاجتماعي الإنساني ومن ثَّم فإن المجتمع مقدم على الفرد، ولا يزول بزوال أفراده" (٧)

وفعلا أصبح هذا العلم هو الوحيد الذي باستطاعته معرفة أحوال الواقع ودراسته وبالفعل تمكن من السيطرة على باقي العلوم

وكانت مهمته منذ بداية نشأته الاهتمام بالقضايا الاجتماعية، التي تظهر في جميع المجتمعات العربية أو الغربية.

---

٦ – محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعاينة، ص٥١

٧ – أوسييوف : قضايا علم الاجتماع ، ص١٢٥

فالسوسيولوجيا:

" كلمة متكونة من الكلمة اللاتينية (socius) حيث معناه الشخص الذي يتسم بالطابع الاجتماعي و(logi-logos)

بمعنى القول أو الكلام ،وعلى هذا فالسوسيولوجيا معناه علم يدرس العلاقة بين الناس في المجتمع عموما" (٨)

أي أن هذه اللفظة تعني العلم بطابعه الاجتماعي الذي يُعنى بدراسة الاختلاف الذي يطرأ على البنية الاجتماعية، ومن ثم تطورها

في الدراسات النقدية.

السوسيولوجيا اصطلاحا (Sociology):

تُعرف على أنها: " ذلك العلم الذي يدرس المجتمعات الإنسانية وما يرتبط بها من وقائع اجتماعية، واقتصادية

حيث بدأت بالاهتمام بمواضيع لها علاقة بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات كموضوع العمل، والمعرفة، والصناعة، ثم بدأ تطبيقها على الفن والأدب بشكل عام وعلى المسرح ايضا "[٩] ويعرف ماكس فيبر السوسيولوجيا في كتابه (الاقتصاد والمجتمع):

" بأنها العلم الذي أخذ على عاتقه تفهم النشاط الاجتماعي بالتأويل، ثم بالتفسير، تفسير حدثه وسببه ونتيجته" [١٠] اما جوليان فروند فيراه: "العلم الذي يستخدم للمنهج السببي وللمنهج الفهمي، فيسعى إلى تفسير بعض الارتباطات الاجتماعية ولفهم الموقف المعبر الذي يتخذه الإنسان إزاء التطور التاريخي والتجريبي لمختلف الترابطات المحددة في المجتمع " [١١] فهي إذن دراسة الانسان والمجتمع، دراسة علمية تعتمد على المنهج العلمي، وما يقتضي هذا المنهج من أُسس وقواعد وأساليب في البحث.ويعرفها بورديو:" أنها الدراسة العلمية للعلاقات الاجتماعية، والأفعال، التي من خلالها يشكل المجتمع، كما يرى بورديو أنه يجب على الباحث السيوسيولوجي أن يتسلح باليقظة السوسيولوجية التي تأتي من التراث السوسيولوجي ألا وهو سوسيولوجيا المعرفة حيث يرى أن اليقظة بمثابة ملكة تفرض عليه نوعا من التفتح الذهني نحو الظاهرة؛ لتكون الظاهرة جيدة يجب أن تحقق شرط التطابق بين النماذج النظرية والظاهرة الاجتماعية التي يريد أن يتناولها، ويرى أنه كلما تقدم العلم الاجتماعي، وانتشر، فإن مهمة علماء الاجتماع ستكون بالغة الأهمية

٨ – المعجم الفلسفي المختصر، مجموعة مؤلفين، ص٢٥٥-٢٥٦

٩ – سهى سالم، الرؤية الاخراجية والمعالجة السيوسيولوجية للتراث في العرض المسرحي، ص٣٧

١٠ – د. جميل حمداوي، جهود ماكس فيبر في مجال السيوسيولوجيا، ص١٢

١١ – جوليان فروند، سوسيولوجيا ماكس فيبر، ص٢١

والصعوبة بآن واحدٍ " [١٢] من خلال الخوض في تعريفات السيوسيولوجيا يمكن أن نخرج بنتيجة مفادها هي: إنَّ السيوسيولوجيا علم لدراسة المجتمع، وأنماط العلاقات الاجتماعية، وثقافة الحياة اليومية، يستخدم أساليب مختلفة من البحث التجريبي والتحليل النقدي؛ لتطوير مجموعة من المعرفة حول النظام الاجتماعي أو التطور الاجتماعية، وهي علم ضروري للمجتمع يستمد ضرورته من ضرورات الحياة الاجتماعية، على افتراض أن الوجود الاجتماعي للبشر يحتاج إلى تنظيم، واشباع منظم للحاجات وتنظيم عمليات التفاعل الاجتماعي وفق قواعد واسس لخدمة مصالح المجتمع، فعلم الاجتماع لا يعدو أن يكون ترجمة لمصطلح السوسولوجيا.

علاقة السوسيولوجيا بالأدب:

سوسيولوجيا الأدب (Literature of sociology) أو علم اجتماع الأدب حقل خصب وجديد في حقول الدراسات الأدبية، فهو " منهجية نقدية تدرس العلاقات التي تقيمها الحياة الأدبية مع الحياة الاجتماعية " [١٣] يرى البعض ان المنهج الاجتماعي في الادب يقوم على مجموعة من المنطلقات منها:

" الفلسفة، وعلم الاجتماع، فضلا عن تأثره بالتطورات التي حدثت في نظرية الأدب، وقد تطور علم اجتماع الأدب، في ظل هذه المحركات، التي درست العلاقة المتبادلة بين الأدب والحياة، فشمل نمطين من الأبحاث:

عُني أولهما بالأدب بوصفه منتوجا استهلاكيا، وبالمجتمع بوصفه مجالا للاستهلاك الأدبي وعُني الثاني بالأدب بوصفه جزءا من الواقع الاجتماعي، وبالمجتمع لكونه موضوعا للخلق الأدبي) [١٤].

بدأ الاهتمام بالدراسة السوسيولوجيا في الأدب عندما:

" بدأ الأدب يظهر بوصفه قيمة مؤسسية، عندما ظهرت مؤسسات جديدة مثل الأكاديمية الفرنسية بعد أن أفرزت الثورة الفرنسية

في عام ١٧٨٩فكرة تفسير الأدب عن طريق المجتمع " [١٥] فحُظيت باهتمام الباحثين والناقدين، عملهما في فحوى العمل الأدبي، ومدى علاقته بجوانب الحياة الاجتماعية، أي أنها تدرس العلاقة بين الأدب والمجتمع؛ باعتبار الأدب انعكاساً لقضايا المجتمع.

"فعلم اجتماع الأدب يدرس العلاقة بين الأدب والمجتمع، أو يدرس الأدب بوصفه ظاهرة اجتماعية، وقد اصطبغت معظم اعمال علماء الاجتماع حول الأدب بصيغة ماركسية، تتجه اتجاه متأثر بأعمال

١٢ – جميلة شلغوم ،،واقع السيوسيولوجيا في الجزائر في ظل الحداثة وما بعد الحداثة ، ص٨٧،٨٤

١٣ – بول آرون وآلان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، ص٦

١٤ – جاك لينهارت ، علم الاجتماع الادبي بعض من مراحل تاريخه، ص١٢

١٥ – بول آرون وآلان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، ص٦

لوكاش" [١٦] فالأدب فرع من فروع علم الاجتماع العام، يهتم هذا التخصص بدراسة الظواهر الأدبية، والفنية، والجمالية في ضوء المقاربة السوسيولوجية باستخدام المنهجية الكمية من جهة، أو المنهجية الكيفية من جهة أخرى، أوهما معا، ويعني هذا أن الأدب يعكس المجتمع أو هو بمثابة مؤسسة مجتمعية كباقي المؤسسات الأخرى التي لها دور هام داخل النسق الاجتماعي الوظيفي، ومن ثم فالأدب له تأثير كبير في المجتمع كما للمجتمع تأثيره الخاص في الأدب، إذن هناك عملية تأثير وتأثر متبادلة، وفي الوقت نفسه، تطرح سوسيولوجيا الأدب على بساط البحث العلاقات التي تقيمها الحياة الأدبية مع الحياة الاجتماعية.

ويعد كتاب مدام دوستال " في الأدب من حيث علاقته بالمؤسسات الاجتماعية أولى المحاولات الجادة التي أسست لعلم الاجتماع

الأدبي، وينظر إليه بوصفه متضمنا لمشروع علم الاجتماع الأدبي بجملته" [١٧] " وترى دوستال أنه لا يمكن فصل الأدب عن تأريخه، وعن الأفراد الذين أنتجوا هذا الأدب، فالأدب عندها إنتاج فردي؛ لأنه حصيلة تفكير الكاتب، ونتاج عبقريته، إلا أنها عملت على تفسير الأدب في علاقته بالنظم الاجتماعية، فهي تؤكد أن الأدب صورة للمجتمع وهو وثيق الصلة بنواحي الحياة المدنية " [١٨]

المبحث الثاني / علاقة السيوسيولوجيا بالرواية:

مما لا شك فيه أن اهتمامنا بالرواية، من قِبل اهتمامنا بالفن، وبفن الرواية خصوصا، إذا نظرنا إليها على أنها ظاهرة سوسيولوجية

فذلك مُتأتي من اعتقادنا أنها تحمل الظواهر الاجتماعية كالجاذبية والتلقائية، والموضوعية، والتاريخية فعالم الرواية يشكل واقعا خاصا

يشابه الواقع اليومي، في الوقت نفسه يتجاوزه إلى ما هو أشمل وأعمق، والرواية شكل من أشكال الأدب "وهي من المنظور الواقعي الاشتراكي بناء فني معقد قائم على الشخصية والسرد بلغة نثرية، وتعد طاقة هامة في التعبير عن روح المجتمع وأزماته وطموحاته وقد أخذت مكان الصدارة في الأشكال الأدبية عالميا وعربيا؛ لأنها الوعاء الأنسب للمرحلة التاريخية التي يمر بها العالم؛ لذلك أصبحت الشكل العالمي المعمم للثقافة " [١٩] فهي إذن أداة فنية للوعي يمكن بوساطتها رصد وضع المجتمع وتجسيد أحداثه وأزماته من خلال الشخصيات الروائية، وهي قبل

كل شيء صياغة للحوار بين الذات الساعية للمعرفة وبين العالم الخارجي.

---

١٦ – محمد على بدوي، علم اجتماع الأدب، ص١٢١

١٧ – جاك لينهارت ، علم الاجتماع الادبي بعض من مراحل تاريخه، ص١٢

١٨ – محمد علي بدوي ، علم اجتماع الأدب ، ص٤٧

١٩ – ر. م. البيريس ، تاريخ الرواية الحديثة ،ص٦

تساعدنا على فهم الواقع المحيط بنا وقراءته ، وفكرة الحوارية تبين أن النص الروائي ذو طبيعة حوارية تتصارع فيه مختلف الأصوات ليخرج بالنتيجة صوت المؤلف، يشاع عن هذا الجنس الأدبي الحديث، أنه كباقي الفنون وسيلة لنقل موقف أو حادثة فحسب غير أنه أبعد مغزى من هذه السطحية، ولعل اهتمام الرواية بتفاصيل الأحداث والعلاقات الاجتماعية، هو ما جعلها من الاجناس الأدبية الملائمة للمدخل السوسيولوجي عبر تحليلها، والتعامل مع المتغيرات التي تواجه المجتمعات، فهي وسيلة الكاتب الأولى لمحاولة التغير في كل الجوانب، وكذلك نقد الواقع وتقديم الشخصيات المعبرة عنه، وهي قادرة فعلا أن تقوم بذلك؛ لأنها من أكثر الأجناس الأدبية عمقا واتساعاً. ووفق السوسيولوجيا فأن الرواية وقائع واحداث، تتضمن تصويرا واقعيا للواقع للمجتمع، هذا وفق المفهوم الماركسي لنظرية الانعكاس ويُعدّ لوسيان جولدمان أول من قدم فرضيات ذات طابع سوسيولوجي صريح حول الرواية، وذلك انطلاقا من آراء جورج لوكاش ورينيه جيرار، ومن ثمة فقد عرف الرواية بأنها " قصة بحث عن قيم اصيلة بصيغة متدهورة، في مجتمع متدهور قصد به جولدمان المجتمع الرأسمالي ...وذلك على اعتبار أن المجتمع البرجوازي لا تظهر فيه العلاقة المباشرة بين الأفراد والأشياء بمظهرها الخاص " (٢٠) حيث يرى جولدمان أن " المشكلة الأولوية التي كان يتوجب على سوسيولوجيا الرواية تناولها هي مشكلة العلاقة بين الشكل الروائي نفسه وبين الوسط الاجتماعي الذي تطور هذا الشكل داخله، أي بين الرواية كنوع أدبي، والمجتمع الحديث " (٢١)

ومن الجدير بالذكر أن الرواية تعبر عن روح المجتمع، ومشكلاته، وقضاياه؛ لذا فإننا عندما نحلل رواية لابد من دراسة الواقع المعاصر لها ونتعامل معه مباشرة، وارتباطها بالمجتمع، وخصوصا في العقود الأخيرة من القرن الحالي، بحيث أصبح الروائي كعالم الاجتماع في تعلقه وتصويره للمجتمع، ويجب أن يكون للروائي موقف يستدعي الإيمان بمشاكل مجتمعه وظروفه، أي وفي في نقل الواقع ومنه ينطلق في بناء نصه الروائي.

مفاهيم نظرية جولدمان:

اولاً / البنية الدالة :(la structure significative)

من أهم المفاهيم التي شكلت الأساس النظري لأطروحات جولدمان النظرية، في البنية التكوينية هي البنية الدالة، أو الدينامية الدالة.

" يقوم هذا المفهوم على فكرة محورية مفادها، أن الأعمال الأدبية تحتوي على أبنية دلالية كلية إذ نجد في كل عمل أدبي فكرة عامة

تتواتر باستمرار كلما انتقلنا من فقرة إلى أخرى، وهذه البنية تكون مختلفة من عمل لآخر " (٢٢).

٢٠ – سعود فطيمة، المنظور السوسيولوجي للرواية العربية، ص١٢٢

٢١ – الشريف حبيلة ، القيم بين واقعية الفعل وسلطة المرجع ، ص١٢٦

٢٢ – بشير ضيف الله، البنيوية التكوينية، ص٧٩

فالبنية الدالة هي ضرورة في تحليل بنيوي، أي أن الدوال تؤدي إلى بنية أصلية واحدة، البنية الدالة تؤدي إلى فهم المطلوب من الدوال الأخرى.

ويحدد جولدمان مفهوم البنية الدالة في كتابه (أبحاث جدلية) بقوله:

"أن مقولة البنى الدلالية تدل على الواقع، والقاعدة؛ لأنها تتحدد في أن المحرك الحقيقي (الواقع)، والهدف الذي تصبو إليه، هذه الشمولية

التي هي المجتمع الإنساني، هذه الشمولية التي يشترك فيها مع العمل الأدبي، الذي يجب دراسته " (٢٣)

من خلال هذه الخاصية يتضح أن الناقد لا يستطيع دراسة النص بمعزل عن سياقه، فكل علاقة داخل النص لا تكتمل إلا بالتواصل

مع البنية الأخرى.

ثانياً / الوعي القائم أو الواقعي (ce conscien réelle la)

وهو من المفاهيم الذي أقر بصعوبته جميع دارسي البنيوية التكوينية، وهو بطبيعته ناتج عن الموروث حضاريا، وثقافيا، وتاريخيا

وهو مرتبط بالجماعة، هذا ما يثبته تعريف جولدمان.

من أكثر المصطلحات التي تثير الجدل، فالوعي القائم أو الواقعي، هو وعي حاضر، وآني، وفعلي يحدد جولدمان الوعي من اعتبارين

الأول إن كل واقعة اجتماعية هي من بعض جوانبها واقعة وعي وكل وعي هو قبل كل شيء تمثيل ملائم لقطاع معين من الواقع على وجه التقريب. (٢٤)

يشترك لوكاش و جولدمان في مفهوم الوعي الممكن، والوعي الواقعي أو القائم، إلا إنَّ جولدمان يقر بصعوبة تدقيق معناه فيقول:

"موضوعة الوعي هي بالذات من بين الكلمات الأساسية المستعصية على التحديد الدقيق " (٢٥)

أما الوعي الممكن: (Le visioh du monde)

يتجسد هذا الوعي في ظل جملة من التصورات المنسجمة للطبقة، فهو يرتبط بما تسعى إليه الطبقة وما يحكم نظرتها، وسياق وجودها من تزاوج يعمل على إنجاب تصور يقوي حبل التواصل بين أفرادها كما يرفع درجة التوازن مع متطلبات واقعها، وهو مجسد في الأعمال الفكرية، والأدبية.

---

٢٣ – جمال شحيد، في البنيوية التكوينية، ص٨١

٢٤ – نادية الخداري، مجلة اشكالات في اللغة والأدب، ص٥٩

٢٥ جولدمان، البنيوية التكوينية وتاريخ الأدب، ص٩٥

حيث إن الفرد يبدع كونا متخيلا يعبر عن رؤية فئة اجتماعية تمتلك وعيا، تريد أن تكونه عن الوضعية التي تطمح إلى الوصول إليها.

" فالوعي الممكن يجسد الطموحات الكبرى التي تهدف إليها الجماعة، وهو المحرك الفعال لفكرها ،ويعطيها صورة حيوية في الحاضر والمستقبل، وهو وعي في متناول ذوي الثقافة العالية، والأدب" (٢٦)

من الممكن أن نسمي الوعي الممكن (وعي كامن)، أو (وعي منطلق)، أو (وعي متفجر)، فهو كامن داخل الشخصية، لكنه سرعان ما يتفجر إذا واجه ضغوطا خارجية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية وغيرها وهذا ما نجده عند بعض الحالات في المجتمع، من حالات انتحار مثلا، فيصبح الوعي من وجهة نظر جولدمان رؤية جديدة للعالم.

ثالثاً / رؤية العالم:

ظهر مصطلح الرؤيا عند الكثير من القدماء والمحدثين، فأشار له القدماء بقولهم:

"هو مفهوم عاما تجاذبه اللغويون، والنقاد، والشعراء والكّتاب، والفلاسفة، ولكل منهم طريقة خاصة، وإن كان جميعهم انطلقوا من الجذر اللغوي (رؤية) " (٢٧)

وأشار للمصطلح المحدثون ومنهم: شكري غالي إذ يرى الرؤية.

" الرؤية ترتبط تلقائيا بالعنصر الاجتماعي في الحضارة، كعنصر وحيد أحيانا، وعنصر حاسم وموجه أحيانا أخرى " (٢٨)

وهي عند جولدمان: "أن رؤية العالم هي بالتحديد هذه المجموعات من التطلعات، والإحساسات والأفكار التي توحد مجموعة اجتماعية، وفي الغالب اعضاء طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى" (٢٩).

فرؤية العالم عند جولدمان لا تكون إلا في إطار الجماعة، لكن بوعي فردي، فهي الفرز المعمق والدقيق للتفاصيل التي يزخر بها الواقع.

تحقيق النتاج، وهي الكيفية التي ينظر إن مفهوم رؤيا العالم الذي تحدث عنه لوسيان ما هو إلا نسق فكري الذي يسبق عملية "فيها إلى واقع معين، أو هي النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق النتاج، وليس المقصود بها نوايا المؤلف، بل الدلالة الموضوعية التي يكتسبها النتاج". (٣٠)

---

٢٦ – حميد الحميداني ، النقد الروائي ، ص٦٨

٢٧ – صغير بن غريب العنزي، رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص١٥

٢٨ – شكري غالي، شعرنا الحديث إلى أين، ص٢٨

٢٩ – جولدمان، العلوم الإنسانية والفلسفة ص١٨

٣٠ – خبش نورة، رؤيا العالم عند لوكاش مقاربة مفاهيمه، ص٢٨

رابعاً / الكلية والانسجام:

التماسك " يمثل ميزة من مميزات المنهج البنيوي التكويني، فهو لا يُعنى بوصف البنية الكلية للعمل الأدبي ، والبنى الفرعية المكونة لها بل يسعى إلى ربطها بالبنى الذهنية للجماعة، التي يعبر بها هذا العمل عن رؤيتها للعالم ، هذه الرؤية التي هي حصيلة البنى الثقافية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية التي تعيش فيها الجماعة ومن هنا تدرك رؤية العالم هي التي تحقق التماسك بمعناه الوظيفي" (٣١)

" ويُعدّ جولدمان عنصر الانسجام أساس جميع أعماله ومنهجه، معتبرا إياه من العناصر المشكلة للقيمة الجمالية في العمل الأدبي، وينفرد بكونه مقياسا للأعمال العظيمة".(٣٢)

نستطيع أن نقول أتخذ العمل الأدبي مجالا لبلورة منهج ينطلق من العمل الأدبي نفسه، ومستعملا منهجية سوسيولوجية، وفلسفية لإضاءة البيانات الدالة، وتحديد المعنى بمستوياته عبر أنماط من الرؤية للعالم.

البنيوية عند العلماء العرب:

يدرك الباحث في مجالات النقد الأدبي أن البنيوية بدأت تشق طريقها، في البلاد العربية منذ سبعينيات القرن العشرين، هذا لا يعني أنها جاءت من فراغ، إذ كان لها شرارات في دراسة الأوائل، دون أن تترجم إلى دراسات على نطاق واسع، وهذا شأن العرب

في أغلب دراساتهم، فكثيرا ما ركز سيبويه على مفردة المسند والمسند إليه، " وأشار في أكثر من موضع أنه لا يمكن استغناء

أحدهما عن الآخر، وبهذا فهما كاللفظ الواحد " (٣٣) أي أنَّ المسند والمسند إليه هما بنية الكلام.

أما ما طرحه الجرجاني حين أثبت "أنَّ اللفظة لا قيمة لها ولامعنى إلا باللفظة التي تليها وذلك، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفرد وإنَّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما تعلق له بصريح اللفظ ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر .." (٣٤)

كلام الجرجاني إشارات غير واضحة المعالم لكن الفكرة موجودة وهي تؤدي لمعنى البنية ولم تكن البنيوية غائبة عن العرب المحدثين إذ يراها عبد السلام المسدي "أنها تجرأت على النص وأزاحت ما كان يحيط به، إضافة إلى موت المؤلف التي كانت الفكرة الجانية عليها " (٣٥)

---

٣١ – علي جبار جلوب، سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري أنموذجا) ص١٤٨

٣٢ – الشريف حبيلة ، سوسيولوجيا النص الروائي من النظرية إلى التطبيق ، ص٥٩

٣٣ – سيبويه، الكتاب، ج٢٣/١

٣٤ – يوسف وغليسي، البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات اللغوية، ص١٢٢

٣٥ – جمعة الفرجاني ، أُسس النظرية البنيوية في اللغة العربية ، ص٢٠

ومن العرب المحدثين الذين تناولوا البنيوية الدكتور سعد أبو الرضا الذي يرى "أن النظرة المادية لواقع النص تجعل الاتجاه البنيوي يتجاوز حدوده في تحليل النصوص المقدسة ، وأن موت المؤلف الذي حرص عليه البنيويون يمنع من معرفة ظروف هذا النص المساهمة في تحليله[٣٦]

ولعل البنيوية عند كمال أبو ديب في (جدلية الخفاء والتجلي) ،و (حركية الإبداع)عند خالدة سعيد، ورائدهم عبد الله الغذامي في (الخطيئة والتكفير) ، وآخرون تثبت اهتمام النقاد العرب بالبنيوية في دراساتهم ، ولم يكن النقاد العرب بأقل من الغربيين في استلهام المذهب البنيوي والوقوف على أهم تفاصيله ، والوقوف على أسراره ، إذ كان لثورات القرن العشرين الثقافية ، والفكرية وغيرها وفي مجالات شتى ، قد أعطى للعرب فرصة الإبداع، والحداثة، فقد أصلت لهذه النظرية دراسات عربية ، وإن كان بعضها منبثقا عن نظريات غربية ، لكن أصبح للعرب دراسات التي تعلن ولادة منهج نقدي بعد مخاض طويل ، ولعل كمال أبو ديب ، الذي سعى لجعل البنيوية منهجا فاعلا ، وصلاح فضل ، ومحمد بنيس ، وآخرون كان لهم اليد الطولى في التنظير لهذا المولود النقدي الجديد. [٣٧]

إذ عرفها فائق مصطفى وعبد الرضا علي بأنها: "منهج يقوم على البحث عن علاقات تعطي العناصر المتحدة قيمة، ووصفها في مجموع منتظم مما يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة " [٣٨] تنطلق البنيوية من كونها نظام يكشف العلاقات الداخلية للنصوص، وعندما نتعرض لتعريف الناقد الجزائري يوسف وغليسي إلى مفهوم البنيوية في كتابه مناهج النقد الأدبي إذ يقول: "البنيوية منهج نقدي داخلي يقارب النصوص مقاربة آنية محايثة، تمثل النص بنية لغوية متعالقة، ووجوداً كلياً قائماً بذاته مستقلا عن غيره " [٣٩] تعريف وغليسي يشير إلى أن البنيوية ، تتعامل مع البنية الداخلية للنص الأدبي، أي أنها تهمل العلاقات الخارجية التي تدرس الوصول إلى النص، أو سبب كتابته، كحياة المؤلف أو تاريخه أو عصره، فهي تنكر كل هذه العلاقات.

وهي عند الناقد المغربي محمد بنيس في كلامه عن البنيوية "لا يتردد في استعمال كلمة منهج ودون أنَّ يكون لنا اعتراض على ذلك

نراه في كلامه على الاجتماعية الجدلية يستعمل كلمة اتجاه حينا، وكلمة تيار حينا آخر، كما يستعمل كلمة منهج حينا ثالثا، دون

٣٦ – المصدر نفسه، ص٢٠

٣٧ – وردة عبد العظيم ، البنيوية ومابعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي ، ص١٩٢

٣٨ – فائق مصطفى وعبد الرضا، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، ص١٨٢

٣٩ – يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص٧١

أن يوضح الفرق بين الاتجاه، أو التيار والمنهج، ومن دون أن يشير إلى تعادلهما " [٤٠] والأمر يتكرر كذلك عند عبد السلام المسدي: " فتارة يطلق عليها نظرية، وتارة يطالق عليها منهجا" [٤١] وقد اعتبر عبد الله محمد الغذامي البنيوية منهجا: " البنيوية من واقعها ليست مذهبا، وما هي بنظريته وليست فلسفة ولكنَّها منهج، ومن حيث كونها منهجا، أداة للرؤية وميزة أداة الرؤية أنها شيء خاضع لمستخدمها، المستخدم هو الذي يستطيع أن يجعلها مفيدة أو غير مفيدة " [٤٢]

ويعرفها سمير حجازي إذ يقول: "فالبنيوية منهج فلسفي وفكري، ونقدي، ونظرية للمعرفة، تتميز بالحرص الشدي على التزام

حدود المنطق والعقلانية، ويتأسس هذا المنهج على فكرة جوهرية مؤداها أن الارتباط العام لفكرة، أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها

البعض على أساس العناصر المكونة لها في ضوء نظام منطقي مركب " [٤٣]

الخاتمة والنتائج:

منذ أن وضع جولدمان نظريته التكوينية، والتي اهتمت بالعلاقة الخارجية للأدب كما أشرنا، في أن الأدب بنيويا يُدرس بعيد عن المحيط وعن المبدع، وقد انجذب لهذا المنهج النقدي كثير من النقاد العرب وقد بات هذا واضحا في دراستنا لخطوات البنيوية، ويمكن عد النظرية الجولدمانية، أحد الطرق التي من خلالها يتم تحليل الأدب، الذي يتعامل مع المجتمع، وقضاياه، التي تصوره الرواية.

ومن خلال دراستنا توصلنا لبعض النتائج هي:

١- يلعب علم الاجتماع دورا هاما في تحليل الأنظمة في مجالات عدة؛ لإيجاد حلول للمشكلات.

٢- وضع كل من المهتمين بالسوسيولوجيا تعريفاَ، وإن كانت متقاربة، لكن لكل تعريف ظروفه التي هي ظروف الباحث، بعضهم ارتبطت عنده السوسيولوجيا بالأوضاع الاقتصادية، وآخر بالظروف السياسية ....ألخ

٣- العالم الاجتماعي في مجتمعنا المعاصر مقسم على مجاميع من الحقول، حقل اقتصادي، حقل اجتماعي، حقل سياسي، حقل تربوي.

٤- رؤية العالم عند جولدمان لا تكون إلا في إطار الجماعة، لكن بوعي فردي.

٥- عنصر الانسجام يُعدّ أساس جميع أعمال ومنهج جولدمان، معتبرا إياه من العناصر المشكلة

---

٤٠ - سامية راجع، إشكالات البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين، ص٢١٣

٤١ - المصدر والصفحة نفسها.

٤٢ - المصدر نفسه، ص٢١٣

٤٣ - سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص١٦١

للقيمة الجمالية في العمل الأدبي.

٦- اهتمام الرواية بتفاصيل الأحداث والعلاقات الاجتماعية، هو ما جعلها من الاجناس الأدبية الملائمة

للمدخل السوسيولوجي عبر تحليلها، والتعامل مع المتغيرات التي تواجه المجتمعات.

٧ – بدأ الاهتمام بدراسة سوسيولوجيا الأدب عندما بدأ الأدب يظهر بوصفه قيمة مؤسسية.

المصادر والمراجع:

١- المصادر

١- أوسييوف : قضايا علم الاجتماع ،دراسة (دراسة سوفيتية نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالي) ترجمة : سمير نعيم، وفرح أحمد فرح، دار المعارف، القاهرة ،١٩٧٠

٢ – بشير ضيف الله ، البنيوية التكوينية ، جامعة يحي فارس ، المدية ، مجموعة محاضرات ، ٢٠٢٢

٣ – بول آرون وآلان فيالا، سوسيولوجيا الأدب، تر: محمد على مقلد، مراجعة :حسن الطالب ، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ٢٠٠٣

٤ – جمال شحيد، في البنيوية التكوينية، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ط١

٥- جوليان فروند، سوسيولوجيا ماكس فيبر، تر: جورج أبو صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، د. ت ط١،bdf

٦ – حميد الحميداني ، النقد الروائي والإيدلوجيا ــ من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي المركز الثقافي العربي

١٩٩٠، ط١

٧- د. جميل حمداوي، جهود ماكس فيبر في مجال السيوسيولوجيا، مراكش، ٢٠١٥، ط١

٨ – ر.م.البيريس، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم ،دار عويدات ،بيروت ،لبنان،١٩٦٧

٩ – سعود فطيمة، المنظور السوسيولوجي للرواية العربية، جامعة الجلفة، سلسلة محاضرات، ٢٠٢٢

١٠ – سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار التوفيق للطباعة والنشر، دمشق ، ٢٠٠٤

١١ – سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، د.ت

١٢ – شكري غالي، شعرنا الحديث إلى أين، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩١، ط١

١٣ – جولدمان، العلوم الإنسانية والفلسفة، تر: د. يوسف الإنطاكي، مراجعة: محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة

-المشروع القومي للترجمة -١٩٩٦

١٤ – فائق مصطفى وعبد الرضا، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٩

١٥ – محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعاينة، منشورات المعهد العالي للفكر الاسلامي فرجينيا

الولايات المتحدة الامريكية، ط١

١٦– يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧

١٧ – محمد على بدوي، علم اجتماع الأدب، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية ،٢٠٠٢

١٨ – المعجم الفلسفي المختصر، مجموعة مؤلفين، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم موسكو ،١٩٨٦

٢– الاطاريح والرسائل الجامعية:

١ – جميلة شلغوم ، واقع السيوسيولوجيا في الجزائر في ظل الحداثة وما بعد الحداثة ،رسالة ماجستير ،جامعة قاصدي ، ٢٠١٢

٢ – خبش نورة ، رؤيا العالم عند لوكاش مقاربة مفاهيمه ، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون ، الجزائر، ٢٠٢٠

٣ – صغير بن غريب العنزي، رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى

السعودية ،١٤٣٢هـ

٤–وردة عبد العظيم، البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، رسالة ماستر، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠

٣– الدوريات:

١– جاك لينهارت ، علم الاجتماع الادبي بعض من مراحل تاريخه، مجلة فصول ، المجلد الخامس العدد الثالث،١٩٨٥

٢ – جمعة العربي الفرجاني ، أُسس النظرية البنيوية في اللغة العربية ، المجلة الجامعة ،جامعة الزاوية ، العدد١٨، المجلد الأول ، ٢٠١٦

٣ – سامية راجع، إشكالات البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين، مجلة الأدب واللغات، جمعة قاصدي، العدد الخامس ،٢٠٠٦

٤- سهى سالم، الرؤية الاخراجية والمعالجة السيوسيولوجية للتراث في العرض المسرحي، مجلة الأكاديمي العدد ١٠٤، السنة ٢٠٢٢

٥- الشريف حبيلة ، القيم بين واقعية الفعل وسلطة المرجع (مقاربة سيوسولوجية في الرواية العربية)، بحوث ودراسات، مجلة إسلامية المعرفة، جامعة العربي، تبسة، العدد ٨٣، ٢٠١٦

٦- علي جبار جلوب، سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري أنموذجا)، مجلة القادسية للعلوم الانسانية المجلد ٢٤العدد ٤ السنة ٢٠٢١

٧- جولدمان ، البنيوية التكوينية وتاريخ الأدب ، تر: علي الشرع ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد ٢، ١٩٨٨

٨- يوسف وغليسي ، البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية ، مجلة الدراسات اللغوية ، جامعة منتوري

قسطنطينية الجزائر، العدد ٦، ٢٠١٠